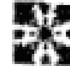
عاطف مصطفى

الدكتور ابراهيم بيومى مدكور رئيس مجمع اللغة العربية ، وواحد من كبار مفكرينا وفلاسفتنا المعاصرين ، عاش بين جنبات المجمع ما يزيد على ربع القرن من الزمن ، عاملا فى ميدان الحفاظ على اللغة العربية ، واثرائها ، وتيسيرها من أجل أن يظل اللسان العربى مستقبلا فى كل يوم العديد من أسرار هذه اللغة الغنية الثرة ..

وفى رحلته الطويلة مع معشوقته والتى وهب نفسه لها .. كان لقائى معه ، متناولا فى البداية حوارا حول حركة الاستشراق ..

الدكتور إبراهيم مدكور يتحدث عن

الاستشراق وقضايانا



قلت للدكتور مدكور : متى بدأت حركة الاستشراق وما هى بواعث ظهورها ؟

ـ أولع الغرب من قديم بالتعرف على الشرق ، وكشف ما فيه من أسرار ، ولا يقف هذا عند الشرق الادنى ، بل يمتد الى الأوسط والأقصى ، ويمكن أن تعد حروب الاسكندر فى التاريخ القديم ضربا من الاستكشاف ، وان كان هدفها الاول غزو الفرس ، والحروب الصليبية فى القرون الوسطى على ما دفع اليها من أهداف دينية ، لم تخل من استكشاف ايضا ، وان غلب جانبها العسكرى على جانبها الثقافى .

ولعل من أوضح الاحداث الدالة على رغبة أوربا فى الوقوف على ثقافة العالم الاسلامى وفلسفته ابان القرون الوسطى أمرين :

أولهما : حركة الترجمة التى بدأت فى القرن الحادى عشر ، ودامت نحو قرنين وكان هدفها الاول أن تنقل من العربية الى اللاتينية فنون الفكر الاسلامى ، ومن أهم مراكز هذه الترجمة طليطلة فى بلاد الاندلس ، وكذلك فى صقلية .

وثانيهما : علاقة الامبراطور فردريك الثانى بهذه الحركة الثقافية واسهامه فيها اسهاما واضحا ، ومحاولة نشر

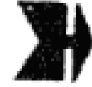
المترجمات اللاتينية فى المعاهد الاوربية الكبرى ، ولم يخل هذا من تنافس مع الكنيسة الغربية، وحاول الامبراطور الاتصال بكبار علماء الاسلام ، وكان من آثار هذه الترجمة أن هناك نصوصا عربية فقدت أصولها ، ولم يبق الا ترجمتها اللاتينية فى العلم والفلسفة .

وعن هذه الترجمات صدر باحثو الغرب ، وتحركوا عليها حتى القرن الثامن عشر ، ولعلها كانت من بواعث حركة الاستشراق الحديثة ، مضافا اليها أسباب استعمارية أهمها رغبة المستعمر فى التعرف على ثقافة البلاد التى يحكمها ، أو سهولة الاتصال بالعالم العربى والعيش فيه عن طريق الاستعمار .

واذن فحركة الاستشراق العلمية الحديثة بدأت فى أخريات القرن الثامن عشر ، ونمت فى القرن التاسع عشر ،

المعاصرة





وازدهرت في أخريات هذا القرن وفي الربع الاول من القرن العشرين وهذا هو عصرها الذهبي ..

●● نريد أن نتعرف على أهداف حركة الاستشراق ، وواضح من قول سيادتكم انهم خططوا لها بعناية ، وبالتالي ما هي الثمار التي تحققت من جراء ذلك ؟

ـ ربما دفع الى الاستشراق قدر من حب الاستطلاع ، وبعض التوجيهات السياسية ، وشيء من التعصب الديني، ولكنه انتهى الى الوقوف على كنوز حقيقية في الفكر الاسلامي تعلق بها الغربيون ، ورغبوا في اقتنائها وفهمها. وفي بعض المكتبات الاوربية والامريكية مخطوطات لا وجود لها في العالم العربي ، وغدا المخطوط اثرا تاريخيا تبذل جهود وينفق مال للحصول عليه وفي القرن التاسع عشر كان هناك تجار في المخطوطات كتجار العاديات الاخرى ولا يزالون موجودين حتى اليوم ، والقائمون على التكايا والزوايا والمساجد بوجه خاص مسئولون عن قدر كبير من هذا التراث الذي حرم منه أهله .

ولكن هذا التراث في قدر كبير منه وقع في أيد أمينة ، فحفظ حفظا جيدا ، ولست في حاجة أن أشير الى أن قسم المخطوطات في المكتبات العامة الاوربية والامريكية يفوق في عنايته ودقته ما ثراء في مكتباتنا العربية .

ولم يقف الغربيون عند الحفظ والعناية بالمخطوط ، بل نشروا قدرا من مخطوطاتنا العلمية نشرا دقيقا محكما ، وترجموا بعضها الىاللاتينية مرة أخرى أو الى بعض اللغات الاوربية الحديثة .

ولم تقتصر عنايتهم على ميدان خاص ، فنشروا في الادب واللغة ، في العلم والفلسفة ، في الاخلاق والتصوف ، وافادوا في نشرهم من المنهج العلمي الدقيق ، ولهم تحقيقاتلم يسم اليهاكثير من تحقيقاتنا المعاصرة . وكثير من ناشرينا في أوائل هذا القرن كانوا عالة على جهود المستشرقين السابقين ..

والى جانب التحقيقوالترجمة والنشر قاموا بدراسات فيها البريء والنزيه ، والعلمي الدقيق وأفادهم في ذلك تمكنهم من اللغات الشرقية ، ووقوفهم على تاريخ الثقافات الانسانية ومن هذه الدراسات ما طغى عليه التعصب أو ما جمحت به الاهواء .

هذا الى أنه قد يفوت بعض هؤلاء الباحثين ادراكهم لاسرار العربية واحاطتهم بجوانب الثقافة الاسلامية ..

●● هل يمكن أن تذكروا لنا بعضا من انتاج المستشرقين ، وأيضا أهم الدراسات التي كانوا يوجهون نظرهم شطرها ؟ ..

ـ ينقسم انتاجهم الى بابين هامين : ملخصات ، ونظرات مجملة غذت الثقافة العامة ، ودراسات متخصصة عميقة .

فمنهم من تخصص في الفقه الاسلامي كسنوخ الهولندي وجسولد تسيهر

النمســـاوى ، ومنهم من تخصص فى التصوف مثل نكلسون الانجليـــزى ،

وماسينون الفرنسى ، أو فى دراســـة شخص معين مثل فاندنبرج الذى عنى

بابن رشد ، وهنرى كوربان الذى وقف حياته على السهروردى •

ومنهم من أولع بتاريخ العـــلوم كالكيمياء، ومن باحثيها المهتمين روسكا

الالماني ـ أو تاريخ العلم بوجه عام على نحو ما صنع سارتون البلجيكى الاصل

ولا شك أن الاستشراق وســـع

الدراسات الفيلولوجية فى أوربا وسمح بمقارنات بين اللغات الشرقية القديمة ،

واللغة اليونانية واللاتينية هذا الى أن تاريخ العلم فى الاســـلام كان يعنيهم

لاستكمال معلوماتهم عن البحث العلمى فى الاسلام ، وأخيراً شغلهم التصـــوف

الاسلامى ليقفوا على الجوانب الروحية الشرقية •

●● ماهى أكثر المدارس التى اهتمت

بالاستشراق •• وهـــل ما زالت تعنى بالحضارة القديمة ؟

ـ المستشرقون لم يقفوا عنـــد بلد معين ، فمنهم أســـبان وايطاليون ،

وانجليز، وفرنسيون، وألمان، وهولنديون ومنهم روس أيضا ، وقد حرص عـــدد

منهم على أن يقيم فى القاهرة أو فى بلد عربى آخر زمنا •

ولا شك أن مدرسة الالمان ، والمدرسة

الفرنسية والانجليزية ، كانت على رأس حركات الاستشراق جميعها ، وازدهرت

هذه الحركات كما قلت من قبـــل فى الثلث الاخير من القرن الماضى والنصف

الاول من هذا القرن ، ثم أخذت تتضاءل بعد الحرب العالمية الثانية ، وتعنى الان

بالعالم العربى المعاصر أكثر ممـــا تعنى بالدراسات الاكاديمية• ومن حسن

الحظ أن العرب أنفسهم بدأوا يضطلعون بهذا العبء •

●● ماذا يؤخـــذ على منـــاهج المستشرقين فى تناولهم لفكر وثقـــافة كتبت بلغة غريبة عنهم ؟

ـ الواقع أنه من الناحية العلميةيمكن أن نقسم دراســـات المستشرقين الى قسمين :

الاول : دراسات للمعلومات العامة والقراءة العادية وهذه لم تحظ بالدقة ،

ولا بالعمق اللازم ولم تخل من أخطاء أيضا •

الثانى: دراسات أكاديمية متخصصة ولاشك فى أن المستشرقين قد طبقوا فيها على الجملة مناهجهم العلمية الدقيقة

من تعويل على المصادر الاولى واستعانة بالمنهج المقارن لمقابلة الافكار الاسلامية

بنظائرها فى الثقافة اليونانية ، وكان منهم فريق أمين كل الامانة فى نقـــله

ونقده وحكمه • ولكن لم يمنع هـــذا أن من بينهم من دفعه التعصب الســـياسى

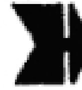
أو التعصب الدينى الى تصوير الامور على غير وجهها •

وهنا أقول ان الاستشراق ككل عمـــل فيه خير وشر ، فيه جيد وردىء • ولكن

خيره يغلب على شره ، وجيده يغطى على رديئه ، لا سيما بعد أن ظهر بين

المستشرقين متخصصون يبحثـــون عن العلم للعـــلم ، ويربأون بالبحث عن

الدعاية والاعلام ، وينشدون الحقيقة



في ذاتها ..

●● بماذا تدين الثقافة العربية الان لجهد المستشرقين ؟

لذلك ثمار يمنينا أن نشير من بينها الى ما يلي :

١ ـ وجهوا النظر للأصول الاولى للفكر الاسلامي ، وأحيوا منهـــا قدرا كبيرا ، الامر الذى تعنى به الان البـلاد الاسلامية عامة ، والعربية خاصة .

٢ ـ انهم وجهوا في دراستهم النظر الى المنهج التاريخي الذى يقـوم على تأصيل المسائل ويبين تطورها ، ولم يفتهم أيضا أن يلجأوا الى المنهج المقارن، وان اخطأت المقارنات احيانا في محاولة رد كل ما هو عربي الى أصل يهـودى أو مسيحي .

٣ ـ وجهوا البحث نحو التخصص ، فهناك مستشرقون وقفوا حياتهم عـلى مدرسة بعينها أو مفكر بذاته .

قلت للدكتور ابراهيم مدكور .. أن الحديث عن الاستشراق يدفعنا لتناول بعض القضايا المعاصرة التي تشغلنـا الان ويسعد قراء الهـلال أن يحظوا بتفسير لهذه القضايا الملحة .. ففى الماضي أضاف الفكر الفلسفى العـربي لتيار الفلسفة الانســانية اضافات اسهمت في تعميق منسوبه ، هل تعتقد أن الفكر العربي يضيف الى تيـــار الفلسفة جديدا الان ؟

ـ لا شك في أن هناك فلسفة عربية ، وهي حلقة لها شأنها في تاريخ الفكـر الانساني ، وفى وسعنا أن نقرر أن العلم والفلسفة العربيين قد مهدوا للنهضـة الاوربية ، وقد سبق العــرب الى اراء ومخترعات لم يهتد اليها علماء الغرب الا بعد نحو خمسة قرون . والغــرب نفسه يعترف اليوم بما كان للعرب من سبق في ميدان البحث والدراسة .

واذا لاحظنا أن النهضة العربيـــة الحديثة لم تبدأ الا في أوائل القـــرن الماضى ، وفى بلاد عربية قليـــلة فان ما دونته حتى الان يمكن أن يعتد به . وهذه النهضة في نمـو وازدهار شامل ويرجى أن تؤتى أكلها شرقا وغربا .

وفي العلم العـــربي فكر جديد ، ومحاولة احياء نشيطة للتراث الاسلامي ونستطيع أن نقول ان العرب يتـــولون بأنفسهم احياء تراثهم وليسوا في حاجة الى معونة من المستعمرين والمستشرقين وهذا الاحياء يؤكد يقظة ووعيـــــا جديدين ، ويوجه نحـــو آفاق للدرس والبحث ، هذا الى ان هناك تيـــارات فلسفية بدأت تظهر في العالم العربى على غرار ما يلحظ في العالم الاوربى والعلم والفلسفة ملك للانسانية جمعاء ، واذا كان الغرب قد غذاهما طوال القرون الاربعة الاخيرة ، فانني لا اشك في أن العرب سيدلون بدلوهم في هذا المضمار ولهم بالفعل اختراعات ومبتـكرات ، وسيزيد هذا الخلق والابتكار على مر الزمن .

●● في الستينات برزت اقلام تناصر تناول العامية في الاعمال الادبية ..

هل اختفاء الدعوة للعامية الان يشكل فى حقيقته انتصارا نهائيا للغة العربية فى مجال الادب .. وهل معنى هذا ان تنتصر الفصحى ذات يوم فى مجال التخاطب بين الناس ؟

ـ اعتقد ان موضوع العامية اصبح فى خبر كان ، لان الفصحى اخذت تحل محلها فى ميادين كثيرة فى الاذاعة المسموعة والمرئية ، فى بيانات القادة والسياسيين وفى خطبهم وهى كثيرة الورود . ويكفى أن نشهد اجتماعا جماهيريا ، ونصغى الى المتكلمين ، فنلاحظ أن لغتهم تقترب من الفصحى شيئا فشيئا .

ولا شك أن عامية اليوم خير من عامية الامس .. حسن لفظها ، واستقامة تراكيبها وكل ذلك نتيجة محو الامية ومتابعة الصحافة اليومية ، والاشتراك فى اللقاءات الشعبية والاجتماعية . وللاذاعة شأن كبير فى تقدم اللغة العامية .

والفصحى نفسها تميل الى اليسر والسهولة والوضوح ، فهناك حركة تلاق من الجانبين : العامية فى صعود ، والفصحى تبعد عن التعقيد والالفاظ الغريبة غير المألوفة .

وأخيرا للقومية العربية شأن كبيرفى محاربة العامية ، واللغة هى الوشيجة الوثيقة فى ربط البلاد العربية بعضها ببعض . وتجربة الجزائر من التجارب الرائدة التى ترمى الى العودة الى العربية الصافية .

●● ظهرت دعوات وانعقدت مؤتمرات تنادى بتعريب العلوم فى جامعاتنا ومعاهدنا العلمية ، ولكن هناك وجهات نظر تتخوف من هذا قبل ان تستكمل مكتبتنا العلمية تماما ، ما موقفك انت من هذه القضية خاصة وهناك دور ريادى كبير بالنسبة لك بصفة خاصة ، وللمجمع المصرى بصفة عامة ؟

ـ هذا الامل أصبح اليوم واقعا ملموسا ، فالتعليم فى المدرسة الثانوية كله بالعربية الان فى مشرق العالم العربى ، ويحاول الغرب أن يملك نفس السبيل .

وهناك تعريب مستمر فى التعليم العالى والجامعى ، فالعلوم الانسانية كلها تدرس بالعربية، والعلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر ، وفلك واحصاء تدرس كلها ايضا باللغة العربية . ولم يبق الا العلوم الطبيعية من طب وكيمياء وفسيولوجيا وصيدلة وهذه بدورها فى الطريق السليم للتعريب .

ويكفى أن نشير الى أن الكتب العلمية التى ظهرت فى ربع القرن الاخير انما كتبت باللغة العربية وظهرت ايضا معجمات علمية كثيرة تجمع بين المصطلح الاجنبى ومقابله العربى .

ولا شك فى ان الجامعات والمجامع اللغوية ، واتحاداتها تسعى جاهدة الى استكمال التعريب فى المرحلة الجامعية .. والمهم ان يحسن الاستاذ الجامعى لغته الوطنية ، وان يكتب بها ويؤلف .. ومتى تحقق ذلك سيتم التعريب فى يسر